International Journal of Civilizations Studies & Tolerance Sciences
Vol 1 Issue 1 (2024)
Pages (86–93)

Available at www.emiratesscholar.com

© Emirates Scholar Research Center

المؤسسة التعليمية .... اغتيال حوار أم بناء حوار ؟

(من إنتاج العنف إلى التفكير النقدي)

د. محمود كيشانه
mahmoud_kishana18@yahoo.com
محاضر بجامعة القاهرة, فرع الخرطوم

ARTICLE INFO

Published on 14th May 2024
Doi:1-.1016/29w0zb03

KEYWORDS
المؤسسة التعليمية - اغتيال الحوار - بناء الحوار - التواصل - التفكير النقدي

HOW TO CITE

المؤسسة التعليمية .. اغتيال الحوار أم بناء الحوار؟ (بين إنتاج العنف والتفكير الناقد). (2024). *International Journal of Civilizations Studies & Tolerance Sciences*, *1*(1), 86-93. https://doi.org/10.1016/29w0zb03

© 2024 Emirates Scholar Research Center

ABSTRACT

لا شك في أن للمؤسسة التعليمية دورًا رئيسًا في عملية بناء الحوار المؤسس للتعايش الحضاري والتعايش الإنساني، ولا أظن عملية بناء الإنسان حضاريًا وحواريًا وتعايشًا يكون لها وجود بمعزل عن المؤسسة التعليمية، إذ هي القادرة - بجوار أخرى- على تشكيل ذلك فيه. فهي القادرة بوصفها المنوط بها عملية التعليم والتربية الأخلاقية على توجيهه إلى الحوار لا العنف، النقاش لا الخلاف، الحجاج لا الجدل. ومن هنا فإن هذا البحث تبدو أهميته في محاولة الوقوف على دور المؤسسة التعليمية في إشاعة روح التعايش السلمي الإنساني وإرساء أسس الحوار بين الجميع، تمهيدًا لبناء إنسان قادر على التكيف مع العالم من حوله. كما تبدو أهميته ثانيًا في محاولة الوقوف على الجانب السلبي الذي يمكن أن تؤدي إليه المؤسسة التعليمية في اغتيال الحوار من خلال إشاعة ممارسات تقوم على العنف وعدم تقبل الآخر أي كان. كذلك تبدو أهميته ثالثًا في الوقوف على الجانب الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه في هذا المجال، من خلال إشاعات ممارسات التفكير النقدي وجعله منهج حياة، فتكون المؤسسة التعليمية مؤسسة لبناء الحوار لا اغتياله. ويقوم البحث على مجموعة من التساؤلات التي تتبلور حولها إشكاليته الرئيسة، هذه التساؤلات مؤداها: ما درو المؤسسة التعليمية في إشاعة روح الحوار والتعايش الإنساني؟ وهل المؤسسات التعليمية يمكن أن تؤدي دورًا سلبيًا يغتال الحوار ويقضي على منابعه، مما يكون له أثر غير إيجابي في عملية التسامح والتواصل والتعايش؟ كيف تودي المؤسسة التعليمية دورها الإيجابي المنوطة بها في توفير جو من الحوار وممارسته وتفعيل تواجده في عقلية الطلاب وذهنيتهم؟ وكيف يكون التفكير النقدي الأساس الذي تقيم عليه ذلك؟ وفي ضوء هذه الإشكاليات أو التساؤلات تتحدد محاور البحث، وهي على النحو التالي: أ - مقدمة: ب - المؤسسة التعليمية ماذا يمكن أن تقدم. ج - المؤسسة التعليمية وإنتاج العنف (اغتيال الحوار). د - المؤسسة التعليمية والتفكير الناقد (بناء الحوار). ه - الخاتمة.

International Journal of Civilizations Studies & Tolerance Sciences
(2024) Vol 1 Issue 1 Pages (86-93)

1. مقدمة

لا شك في أن للمؤسسة التعليمية دورًا رئيسًا في عملية بناء الحوار المؤسس للتعايش الحضاري والتعايش الإنساني، ولا أظن عملية بناء الإنسان حضاريًا وحواريًا وتعايشًا يكون لها وجود بمعزل عن المؤسسة التعليمية، إذ هي القادرة – بجوار أخرى- على تشكيل ذلك فيه. فهي القادرة بوصفها المنوط بها عملية التعليم والتربية الأخلاقية على توجيهه إلى الحوار لا العنف، النقاش لا الخلاف، الحجاج لا الجدل.

ومن هنا فإن هذا البحث تبدو أهميته في محاولة الوقوف على دور المؤسسة التعليمية في إشاعة روح التعايش السلمي الإنساني وإرساء أسس الحوار بين الجميع، تمهيدًا لبناء إنسان قادر على التكيف مع العالم من حوله.

كما تبدو أهميته ثانيًا في محاولة الوقوف على الجانب السلبي الذي يمكن أن تؤدي إليه المؤسسة التعليمية في اغتيال الحوار من خلال إشاعة ممارسات تقوم على العنف وعدم تقبل الآخر أي كان.

كذلك تبدو أهميته ثالثًا في الوقوف على الجانب الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه في هذا المجال، من خلال إشاعات ممارسات التفكير النقدي وجعله منهج حياة، فتكون المؤسسة التعليمية مؤسسة لبناء الحوار لا اغتياله.

ويقوم البحث على مجموعة من التساؤلات التي تتبلور حولها إشكاليته الرئيسة، هذه التساؤلات مؤداها:

ما درو المؤسسة التعليمية في إشاعة روح الحوار والتعايش الإنساني؟

وهل المؤسسات التعليمية يمكن أن تؤدي دورًا سلبيًا يغتال الحوار ويقضي على منابعه، مما يكون له أثر غير إيجابي في عملية التسامح والتواصل والتعايش؟

كيف تودي المؤسسة التعليمية دورها الإيجابي المنوطة بها في توفير جو من الحوار وممارسته وتفعيل تواجده في عقلية الطلاب وذهنيتهم؟ وكيف يكون التفكير النقدي الأساس الذي تقيم عليه ذلك؟

وفي ضوء هذه الإشكاليات أو التساؤلات تتحدد محاور البحث، وهي على النحو التالي:

1. مقدمة:
2. المؤسسة التعليمية ماذا يمكن أن تقدم.
3. المؤسسة التعليمية وإنتاج العنف (اغتيال الحوار).
4. المؤسسة التعليمية والتفكير الناقد (بناء الحوار).
5. الخاتمة.

وتجدر الإشارة إلى أن المنهج المستخدم في البحث هو المنهج التحليلي النقدي، الذي يبدأ بتحليل القضايا محاولاً سبر أغوارها والتعمق في تفاصيلها للوقوف على حقيقة المؤسسة التعليمية ونصيبها من الحوار أو اللا حوار، ويردف بالنقد المؤسس على ناحية عقلية فكرية.

2. المؤسسة التعليمية ماذا يمكن أن تقدم

تبدو عملية التحكم في عقول الناس هي الركيزة الأساسية لأي اتجاه سلطوي أو متطرف ، فالشعوب التي ابتليت بمن يتحكم في عقولها عن طريق التعليم أو نوع من التدين الزائف أو الفضائيات المشبوهة أو غيرها من وسائل التغييب القسري للعقول ، بهدف توجيهها الوجهة التي تريدها بعض الأنظمة السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية هي تلك الشعوب التي يكون فيها التطرف على أشده سواء أكان تطرفًا فكريًا أو دينيًا ، وهل لنا في ظل وضع مترٍ سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا واقتصاديًا يكون الأمل في تغيير جذري في العملية التعليمية؛ لتكون مؤسسة لحوار دائم يقود إلى تعايش وتسامح .

ومن ثم فالبنية الأساسية للتطرف هي البنية التي تتخذ من بيئة التسلط مرتعًا لها تتحصن به وتنطلق من خلاله , ولقد ظل التعليم منذ بداياته الأولى في الأقطار العربية متحكمًا في عقول الشعوب ، فمما لا شك فيه أن التعليم هو القاطرة التي تأخذ بيد الأوطان إلى التقدم الحضاري والتكنولوجي ، إن " التعليم هو قاطرة التحول في المجتمعات التي تنشد التقدم وهناك العديد من التجارب العالمية الفريدة التي كان التعليم فيها أحد أهم دعائم التقدم والتحول . يرتبط التعليم ارتباطا مباشرا بمستقبل المجتمع, ليس فقط لأنه عملية معرفية يتلقي من خلالها الطالب معارف منظمة ومهارات وتقنيات مطلوبة, ولكن أيضا لدوره المتزايد في إعداد أجيال قادرة علي المشاركة بفاعلية, والتخطيط للمستقبل بشكل واع, والتسلح بالقيم الناهضة والمهارات الحياتية والاتجاهات الصحيحة التي تفضي الي تطوير نوعية الحياة(1)

وهو بذلك المعول عليه في تنبيه الفكر وإثارة العقول وصولاً إلى حلول تقود إلى مرحلة المدنية والحضارة بما تشمله من أساسيات التواصل الحضاري، إلا أن هذا التحكم كان في فتراته الأولى عاملاً إيجابيًا ، في حين ظل في الفترات المتأخرة متحكمًا في كثير من الأحيان بصورة سلبية .

ومن ثم فقد تعالت صيحات المطالبين بتأسيس دور قيادي جديد للتعليم في بلادنا ، ننبذ فيه التطرف بكل أشكاله ، نحن ندرك أن مناهج التربية والتعليم في بلادنا العربية في حاجة إلى منهج وسطي في كل شيء ، وإذا كانت الدعوات تتزايد بين الحين والآخر لتعديل المناهج التدريسية ، بحيث تكون هذه المناهج داعية للتعبير عن التسامح والحوار وتبني الفكر المعتدل وتقديم مناهج الفكر النقدي وإعمال العقل ، فإن هناك تسابقًا من نوع ما بين هذه الدول ، بيد أنه تسابق بطئ للغاية ، فإذا كانت هناك الدول التي تحاول أن تسير في هذا الاتجاه ، فإن الأغلب لذلك يسير كسير السلحفاة ، فضلا عن أن بعضها لا يعير تلك الدعوة اهتمامًا من الأساس ، وهذه المواقف المتباينة هي في ظني نتيجة اختلاف النظم السياسية والاجتماعية والثقافية في بلادنا العربية ، ومدى إلمام هذه النظم بحقيقة الظرف التاريخي الذي نعيشه الآن .

قد يعتقد البعض أن الأمر يتعلق بالمنهج أو المقرر الدراسي فحسب، فيتجه إلى تطعيم هذه المناهج أو تلك المقررات ببعض الألفاظ كألفاظ: التفكير النقدي والتفكير العلمي والحوار والمناقشة والتسامح والتنوع والآخر؛ لكي يشي كذبًا بتطويرها، مع أن واقع الأمر ليقودنا إلى أن التطوير ليس في الشكل ، ولكنه تطوير في المضمون ، والدليل أننا لا نلمس تفاعلاً ما معها بين المعلم والمتعلم ، أو بين المتعلم ومجتمعه ، بما يعني أن هذه الألفاظ استخدمت استخدامًا أجوف ؛ حتى أنها لم تستطع أن تشكل وعيًا ما داخل العقل الجمعي فضلاً عن الفردي في المجتمع ، حيث ظلت ألفاظًا خارجة عن حيز التطبيق العملي ، مع أن الاستقراء العام للتصنيفات في المجتمعات العربية يبين لنا أن هناك تعددية من نوع ما بين أبناء المجتمع الواحد ، فهناك التعددية الدينية ، وهناك التعددية المذهبية ، وهناك التعددية العرقية ، وهذه التصنيف تعد عاملاً ملحًا على تقديم صور من التواصل مع هذا الآخر دينيًا أو عرقيًا أو مذهبيًا ، ليس لكي يؤمن كل واحد بمعتقد الآخر، فلكل معتقده الذي يختاره ، إذ لا إكراه في ديننا، ولكن لكي نمد جسورًا من التسامح والعيش في سلام معه . ومن ثم " ينبغي أن يكون الهدف النهائي من إصلاح التعليم في دول مثل تونس ومصر هو التعليم من أجل المواطنة، أي تنمية مواطنين مثقّفين ومسؤولين يفكّرون بحرية ويساهمون في بناء المجتمع. ومفتاح ذلك هو الدور الذي يلعبه الدين في مدارسها وتحليل مدى تدريس الدين بطريقة يمكن أن تنمّي قيم المدنية والمواطنة. (2)"

3. المؤسسة التعليمية وإنتاج العنف (اغتيال الحوار)

مما لا شك فيه أن المؤسسة التعليمية إذا ترتب على ممارساتها الطلابية –عمدًا أم جهلاً- عنفًا فإنها بذلك تقود إلى اغتيال الحوار؛ لأنه لا وجود للحوار في بيئة يتسيدها العنف. ومن ثم يرى أحد الباحثين أن العنف عموما، والعنف التربوي على وجه الخصوص، ظاهرة اجتماعية لها جذور في الثقافة الاجتماعية السائدة والنسق القيمي المهيمن، وسائر مظاهر التنظيم الاجتماعي والسياسي المتحكم فيه(3).

أو كما وصفه بيير بورديو بنوع من أنواع العنف الرمزي الذي يستخدمه المجتمع -تحت رعاية الطبقة المسيطرة- لإعادة إنتاج الأفراد داخل قالب المواطن المُهيّأ مجتمعيا للاندماج في المجموع والانصهار داخل النظام(4) .

ومن ثم يمكن القول إن التعليم بالطريقة المتبعة في بعض بلدان العالم العربي يعد سببًا من أسباب إنتاج العنف ، ليس بين رافدي الوطن فحسب ، بل بين أبناء العقيدة الواحدة ، فالعديد من المؤسسات التعليمية تحاول بمناهجها ومعلميها تأجيج الصراع مع الآخر ليس على المستوى العقدي فحسب ، ولكن أيضًا على المستوى الفكري ، فما أكثر اختلافنا على أتفه الأسباب ، وما أشد قسوتنا على رأي بعضنا بعضًا ، وما أغرب فعلنا عندما نحوّل هذا الاختلاف في الرأي إلى خصومة وصراع ، قد يأكل في طريقه الأخضر واليابس ، ترى لو كان للتعليم دور هل كنا سنصل إلى هذه الحالة ؟ إن التعليم يعتوره العديد من العوائق على كافة المستويات المتعلقة بالعملية التعليمية ، ولن ينصلح حال التعليم في مؤسساتنا التعليمية ما لم تنصلح هذه الأطراف جميعها . ومن ثم كان من اللازم أن نحيط علمًا بهذه العوائق محاولين في الوقت نفسه التكاتف من أجل الوصول إلى بعض الحلول التي من شأنها أن تقود إلى بيئة تعليمية سليمة ، وذلك من مستويات عدة كالمعلم والمتعلم والمناخ التربوي والمنهج الدراسي والقيادة المدرسية وغيرها من المستويات التي يعني تضافرها الوصول إلى الجودة الشاملة في التعليم(5) ، والخروج بمنتج تعليمي – أقصد المتعلم – يحمل آمال الوطن وطموحاته ، فيعمل على تحقيقها ، بدلا من أن يكون عامل هدم تتخاطفه يد البطش تحت ستار التمسح بالعقيدة أو الانجراف وراء الأيديولوجية المقيتة.

ومن هنا تأتي أهمية تدريس الفلسفة في العالم العربي ؛ لأننا نريد جيلاً قادرًا على النقد والإبداع وتخطي الحلول التقليدية ، لا جيلاً خائر التفكير، عيي التعقل ، ضعيف التفلسف . وهذا يقودنا إلى ضرورة الكشف عن أمر من الخطورة بمكان وهو أن التعليم على ذلك النحو المتبع في مؤسساتنا التعليمية بصورته الحالية لا يخرج لنا جيلاً قادرًا على تحويل دفة الأوطان العربية من جاهلية فكرية - على صعيد التواصل البناء مع الآخر واحترامه واعتباره شريكاً في الوطن والمواطنة- تغرق فيها حتى الثمالة إلى تقدم منشود على المستوى الحضاري المادي والروحي الأخلاقي(6) ، وإنما سيخرج لنا جيلاً هو إلى التوهم أقرب منه إلى التعقل ، وإلى التقليد أقرب منه إلى الإبداع ، وإلى التشدد أقرب منه إلى الترفق ، وإلى الاقتتال أقرب منه إلى الحوار.

ويمكن القول إن الأهداف الجوهرية لأي عملية التعليمية تبغي لنفسها بناء جيل واع يؤمن بقيمة الوطن والمواطنة تتلخص في : الاهتمام بالنواحي العقلية وإعمال الفكر الحر وإخضاع العقل لاتباع خطوات التفكير السليم ، مما يؤدي إلى وجود نقد واع ، أو إن شئت فقل وعي نقدي يتجاوز كل الأطر التقليدية والأنظمة العتيقة ، كل ذلك في إطار من تجاوز الآثرة والانطلاق بفكره إلى نوع من الموضوعية ، ولن يؤتي ذلك ثمرته إلا إذا كان التعليم عاملاً رئيسًا في تأهيل الذهن وتنمية جودة التمييز، حتى يكون مؤهلاً على تحمل التبعات المستقبلية بكل ما تنطوي عليه من صعوبات . وحتى يكون متواكبًا مع التحولات العالمية بتوافقه مع قيم الحرية وحقوق الإنسان و الديمقراطية.

ويمكن القول إن مرحلة التعليم الابتدائي مثلاً هي المرحلة الأولى من مراحل المدرسة ، والتي تُدرّب الطفل على التفكير بشكلٍ سليم ، وتُؤمّن له الحدّ الأدنى من المهارات ، والمعارف ، والخبرات ؛ التي تهيّئه للحياة، ولممارسة دوره كشخصٍ مُنتجٍ داخل نِطاق التعليم النظاميّ ، سواء كان الطالب في المناطق الحَضَريّة ، أو في مناطق الرّيف(7) .

كما أن هناك إشكالية كبيرة تتعلق بالقيادة التربوية؛ إذ إن القيادة التربوية في مؤسساتنا التربوية لا تهتم بأن تشيع روح التواصل بين المتعلمين وذلك من خلال أنها : لا تتبع أسلوب الحوار في الوصول إلى القرارات ، أو إشراك المتعلمين فيما يخص بيئتهم التعليمية ، كما أنه ليس هناك اهتمام بمشاركة ممثلين من العاملين والمتعلمين في وضع خطط التطوير ، أو حتى وضع نظام لترقي الاقتراحات والشكاوى والتعامل معها بكل شفافية ، وعدم تفعيل اللوائح والقوانين بما يخدم المؤسسة التعليمية ، بالإضافة إلى عدم استطاعة أعضاء المؤسسة التعليمية في المشاركة وضع قواعد المساءلة ، مع تطبيقها على الجميع ، وبمستوييها الفردي والجماعي(8). وهذه المرحلة في حاجة إلى قيادة تربوية واعية.

فإذا كانت القيادات التربوية في مؤسساتنا التعليمية لا تهتم بأبجديات الحوار والتواصل مع الآخر والاعتراف بدوره في صنع القرارات الخاصة به(9) ، فكيف لنا أن نطلب من الجيل الذي نشأ في ظل هذه القيادات أن يعترف للآخر بحقوقه ؟ أو أن يدخله معه في حوار من نوع ما ؟ فهو لم يمارس هذا الدور الذي منع من النشوء والتربية عليه ، فكيف نطلب منه ممارسته ؟ فقد عوّدناه منذ الصغر على الاستبداد بالرأي والاقتتال عليه ولو كان خطأ ، ومن ثم فنحن بذلك نستبدل بمستبد مستبدًا آخر، فيصير كل منا مستبد (بكسر الباء) ومستبد به (بفتحها) ، ومن هنا ينشأ التطرف بكل ألوانه وفي كل سياقاته ، فبما أن أساس التنشئة فاسد فإن النتيجة حتمًا ستكون مخيبة للآمال.

ولذا يقول أحد الباحثين عن القيادة : " القادة الأقوياء فنانون ، فهم يلهمون الآخرين ، يصفقون لمن يحسن عمله ، ويعاقبون المسيء ، يمسكون بالدفة ويقودون ، ويقفون على الجانب ، يبدعون ويراقبون ويعززون ويشجعون ، ويقفون في المؤخرة ، أجل هم يقفون في المقدمة أيضًا ، في بعض الأحيان ، ويدركون جيدًا أن مسؤوليتهم تتمثل في المساهمة في ابتكار بيئة تهيئ للجميع النجاح والازدهار والنمو ، فالقادة الأقوياء يعرفون جيدًا أن القيادة هي كل ما له صلة بالعلاقات(10)

وعليه فإن التعليم في بلادنا لا يساعد المتعلم – في الغالب - على التمكن من المهارات الأساسية كمهارات التفكير، ومهارات التعامل مع الحياة والحفاظ على الإنسانية وقيم المواطنة ، ومهارات التواصل الاجتماعي مع الآخرين ، و التمكن اللازم الذي يجعل منه عضوًا فاعلاً ومتفاعلاً مع مجتمعه ، بحيث يتقبل الآخرين ويستطيع تكوين علاقات اجتماعية تتسم بالإيجابية معهم ؛ ذلك أننا نفتقد في هذا النوع من التعليم إلى حث المتعلمين على امتلاك مهارات العمل الإيجابي كالتعاون والتسامح والحوار واحترام الرأي والرأي الآخر، والإيمان بحقوق الآخر المختلف عقديًا أو غيره . وهذه من أشد القيم التي نحتاجها في حياتنا ، وخاصة في عصرنا هذا بعدما انتشرت فيه الأنانية والتعصب للرأي أو للذات ، وعدم قبول الرأي الآخر؛ حيث إن المتأمل في واقعنا المعيش يجد دروبًا من التعصب الذي أفضى إلى دوجماطيقية صرفة

أخذت بتلابيب الفكر إلى دهاليز العنف والقتل ، حتى أصبح السلاح بديلاً للفكر، والانغلاق بديلاً للرأي الحر، والتعصب بديلا للتسامح ، والقوة بديلاً للحوار. ومن هنا كانت المهارات التي يؤديها التعلم الفعال لرواده أكثر من كونه مجرد مواد تدرس أو شخصيات تحكى انجازاتها للطلبة في قاعات الدرس وحجرات العلم ، وإنما المهارات التي يجب أن يحصل عليها الطالب من دراسته هي مهارات حياتية في المقام الأول لها مردودها المستقبلي عليه إلى أن تأتيه منيته .

وإذا المعلم هو المحور الأساس في التدريس للمتعلمين، وعليه تدور كل المحاور الفرعية الأخرى ، فهو كالترس الذي بدورانه تدور كل المحركات ، لما له من دور بارز في تحويل دفة العملية التعليمية ، فإنه فقد كثيرًا من هذا الدور المنوط به فهو يعتمد على تلقين الطلبة دون تصميم مواقف تعليمية تعمل على تنمية مهارات التفكير لدى المتعلمين ، فهل هناك تنمية للمتعلمين في مهارات التفكير؟ بل هل يراعي المعلم تنمية المهارات الحياتية لدى المتعلمين ؟ فالمعلم في طريقة التلقين لا يخلق للطالب فضاءً يستطيع من خلاله أن ينمي فيه قدرته على الانفتاح على العالم من حوله ، وإنما يخلق سياجًا حديدية بين الطالب وبين عالمه الذي يعيش فيه ، ومن ثم ينظر هذا الطالب للآخر نظرة ريبة وشك ، فلا يتعامل معه إلا بمنطق القوة ، لا منطق الحوار ، خاصة إذا كانت ثقافته الدينية التي حصلها من دراسته ضحلة ، لا تمده بالقدر الكافي من التواصل والحوار مع الآخر ، ذلك التواصل والحوار الذي يزخر به الدين ذاته ، ولكنه لم يدرسه بما يجب أن يكون تحت إلحاحات واضع المنهج السياسية والأيديولوجية.

وبما أن المعلم أساس العملية التعليمية ، فمن واجب الدولة الاهتمام بتدريبه ، وتغيير أسلوبه في طرائق التدريس ، وتغيير أسلوب الامتحان ، وتأهيل الطالب كذلك بالفكر والمهارات ، بحيث تجعله مواطنًا قادرًا على الحياة الفاعلة في القرن الحادي والعشرين. (11)

ولذا نحن نفتقد في المعلم عدم إدراكه لأهمية الدور الذي يؤديه ومدى تأثيره في قطاعات كبيرة من الشعب ، ولو علم لذلك لربط بين المنهج بالمشكلات التي تواجه المجتمع ، وتلبية حاجاته وآماله ، فالمشكلات التي يواجهها أكثر من أن تحصى ، وبحاجة إلى مد يد العون التي تزيل هذه المشكلات ، أو تعمل على حلها ، فنحن نواجه مشكلة في المواطنة والحقوق والواجبات ، ومشاكل في الأمية والجهل والأخلاق ، وإشكاليات في علاقة المستحدثات العصرية بالقيم والمبادئ ومعاني الإنسانية ، وهذه كلها إشكاليات لا يستطيع الإجابة عنها إلا معلم مشبع بقيم الحوار والتواصل مع الآخر ، وإدراك أهمية التفاعل البناء مع الآخر أيًا كان توجهه ومسماه ، فليست هذه الإشكاليات في حاجة إلى الطبيب في مشفاه ، أو المهندس في مصنعه ، أو الكميائي في معمله ، وإنما في حاجة إلى عقلية متفتحة تؤمن بقيمة العقل في حل إشكاليات العصر وتنبه إلى خطورتها ، وتستطيع إيجاد البدائل عند اللزوم . فإذا استطاع المعلم أن ينقل للمتعلم أهمية التواصل مع الواقع المعيش في معالجة هذه القضايا وقدرته على الانتقال بالمجتمع إلى أفق أوسع وأرحب لاستطاع أن ينمي في الطالب بصورة غير مباشر – فضلاً عن الصورة المباشرة – مهارات التواصل مع الآخر ، وكذلك المهارات الحياتية بصورة أشد تأكيدًا وأكثر واقعية.

وإذا كان الأمر بصدد المنهج فإنه يمكن القول إنه يمثل مع المعلم ركنين رئيسين في العملية التعليمية، ومن ثم فإن من الواجب أن يشمل المنهج الدراسي على ما من شأنه أن يجعل المتعلم يعتز بموروثه الثقافي، مع إتاحة الفرصة له للتعبير عن أشكال التراث الفكري التي ظهرت في وطنه أو أمته، وما من شأنه أن يجعله يتمسك بسلوكيات المواطنة الصالحة .

فضلاً عن أنه من اللازم أن يتضمن المنهج بعدًا يراعي تنمية مهارات التعلم طوال العمر عند المتعلمين ، لأننا لا نريد جيلاً لا يرجو من دراسته سوى الحصول على تقدير عال في الاختبار، وإنما نريد جيلاً تصنع فيه المؤسسة التعليمية ما لم تصنعه المؤسسات الأخرى من أسباب الفكر والعلم والتفلسف الذي يبني ولا يهدم ، يقارب بين الشعوب والأديان ولا يباعد ، يتخذ منهجية التسامح والحوار لا العنجهية والغلو.

إن التعليم هو الأداة الفاعلة التي استعانت بها الكثير من الدول والمجتمعات لتحقيق الاندماج الاجتماعي، وبناء القابلية لقبول الآخر واحترامه، باعتباره إنسانًا في المقام الأول، وباعتباره شريكًا في المواطنة في المقام الثاني. " ولكي يتحقق هذا الهدف عملت هذه المجتمعات على بناء منهج يركز على التفكير وتنوع الآراء، من خلال عرض قضايا جدلية تتباين فيها الآراء، من أجل تدريب الطلبة على قيمة تعددية الآراء بدلًا من تعليمهم وتلقينهم آراءً أحادية واحدة وثابتة غير قابلة للنقض، أو التشكيك أو المجادلة؛ مما يقود إلى تنشئة جيل أحادي التوجه، ينظر إلى صاحب الرأي الآخر على أنه خارج عن الإجماع المجتمعي أو الوطني أو القبلي أو الأسري. هذا الجيل يكون حارسًا ضد ظهور أية أصوات بديلة أو مختلفة تساعد على تحقيق التغير في المجتمع؛ مما يجعل المجتمعات حساسة ضد الرأي الآخر، لأن التعليم لا يُدرّس قضايا جدلية ولا يقدم روايات متعددة حول أحداث التاريخ، ولا يقدم سيناريوهات متعددة لتنفيذ أفكار معينة.(12)

فالمنهج الدراسي هو أداة تعليمية تهدف إلى نقل مجموعة من الأفكار التي تبنى عقول الطلاب ، ومن ثم فنحن في حاجة إلى مادة تفكير يكون الهدف الرئيس من تدريسها بناء فكر، فهل يسعى المناهج الحالية إلى ذلك أم يهدف إلى ماذا ؟ وهل يدرس الطلاب المناهج التعليمية ليكتسبوا مهارات فكرية أم ليكتسبوا مزيدًا من السخط على الآخر الذي يتحول تدريجيًا إلى نوع من التطرف الذي يعد بدوره قنبلة تحرق الأخضر واليابس ؟

المشكلة الرئيسة التي نواجهها في مجتمعاتنا أن القائمين على المنهج لا ينفكون وهم بصدد إعداده عن أيديولوجيتهم المقيتة ، فتراهم يحاولون أن يصبغوا المنهج وموضوعاته المختارة بتوجههم الأيديولوجي ومذهبهم الفكري، وعملية كهذه لا تراعي التنوع في المجتمع هي في التحليل الأخير ضربة قاسمة لفكرة التنوع والاختلاف في المجتمع ، وهي الفكرة التي تؤسس عليها فكرة المواطنة ، وقد مرت علينا العديد من التجارب التي تكشف عن علاقة المنهج بالتوجه الفكري الذي يدين به واضعه ، رغبة في خدمة أغراضه السياسية أو الأيديولوجية ، والخاسر الوحيد هو المنتج التعليمي وهو الطالب الذي تتخاطفه أيدي المتعصبين من واضعي المنهج هنا وهناك ، ومن ثم كان من اللازم أن يلغى من المنهج كل هذه الإشكاليات ، فالمنهج الدراسي لا يقدم اتجاهًا سياسيًا أو أيديولوجيًا محددًا بعينه كما يريد هؤلاء أو أولئك ، وإنما يقدم معلومات ومعارف واتجاهات تساهم في تنمية الطالب وتبث فيه روح التعامل بحرفية مع الحياة والتواصل مع الآخر.

وهنا ينتابني سؤال ملح يطرح نفسه مؤداه: هل المناخ التربوي في مؤسساتنا التعليمية يساعد على إشاعة روح التواصل والحوار البناء مع الغير، أم أنه قد يؤدي إلى التطرف ؟ إن المناخ التربوي في مجتمعاتنا هو في الغالب مناخ لا يساعد على إشاعة روح الحوار والتواصل مع الغير ، وإن كنت أرى فيه كثيرًا من مظاهر العداء مع الآخر ، فالمناخ التربوي في أي مؤسسة تعليمية هو المعول عليه الرئيس والأساسي في جودة العملية التعليمية والوصول بها إلى الهدف المنشود ، فالطلاب لا بد من أن يعيشوا داخل المدرسة في جو تعليمي صرف ليس فيه مجال للإرهاب الفكري أو التعصب العقدي؛ حتى يتيح

له ذلك المناخ فرصًـــا أكبر للإبداع والابتكار والعمل الخلاق. ومن ثم فإن المؤسسة التعليمية مطالبة بأن توفر بيئة داعمة لتعليم بناء وهادف. فالمعلم بدوره لا بد أن يوفر المناخ التعليمي المناســـب للأولاد ، فلا تفضـيل للذكور على الإناث، ولا للمسلم على المسيحي أو العكس، بل لا تفضـيل في جانب المعاملة للمتفوق دراسـيًا على المتأخر دراسـيًا، ومن ثم فإنه عليه أن يوفر الفرص التعليمية بنســـب متســـاوية بين المتعلمين، فلا مجال للحجر على رأي المتعلمين.

ولكن ما دور النخبة في هذه القضية ؟ إننا نرى أن هناك إشكالية ما تكمن في النخبة ، فالنخبة في واد ومســـار التعليم في واد آخر ، فالنخبة منقسمة لا شك بين نخبة مثقفة تحاول تعديل مسار التعليم دون المســـاس بتراثنا الحضـــاري والفكري الذي تكونت منه ثقافتنا عبر التاريخ ، والتي تخشـــى أن تكون الدعوة إلى تنقية التعليم من التطرف أســـاســـها نصـــب حصـــار حول الدين ، وتهميش وجوده في المســـار التعليمي، وهذا ما تقوم به بعد التيارات, وبين نخبة مثقفة أخرى – وهو ما تغذيه بعض الاتجاهات الحداثية المغالية – تحاول تجعل بتوجهاتها تكريس هذا الأمر لدي الفريق الأول بتوجهاتها ، وعليه فإذا كنا نعترف بأن التعليم بصـورته الحالية في الوطن العربي لا يشـكل قيمًا واتجاهات إيجابية لدى المتعلمين إلا بصـــورة باهتة لا تتناســـب مع ما يفترض أن تقوم بـه التعليم في نفوس وعقول الطلبـة ، كـالالتزام بـالقيم والحقوق والواجبات وممارسة الأنشطة التواصلية المختلفة ، فإننا نعترف أيضًا بأن مادة التربية الدينية الإسلامية والتربية الدينية المسيحية – تحيي في الطالب قيم الأمانة والصـــدق والالتزام والمشـــاركة الفعالة والاحترام الكامل للجميع ، وتحثه على أن يظهر في ســـلوكه قيم الولاء والانتماء والمواطنة ، فيكون حريصًـــا على حقوقه ، ملتزمًا بأداء واجباته ، أما الدعوات المغالية التي تتخذ من التزام الطالب بأداء الصـــلاة مثلاً داخل مدرســـته دليلاً على تصـــنيف هذه المدرســـة بأنها تنمي لهذا التوجه الأيديولوجي أو ذاك التوجه الســـياســـي فهذا مما يؤجج فتيل التشـــدد والتطرف ، ولا يلبي حاجتنا في التأكيد على قيم التنوع والاختلاف.

4. المؤسسة التعليمية والتفكير الناقد (بناء الحوار)

التعليم من الركائز الأساسية لنهضـة أي مجتمع من المجتمعات الإنسـانية ، وبدونه ترسف في غيابات الجهل والتخلف والتشدد ، ومن ثم كـانـت أهميـة العلم والتعليم ، وبـالنظر إلى واقع الحـال في تعليمنـا العربي في مؤسساتنا التعليمية نجد أننا نسير عكس تيار التعليم العالمي ، وذلك - في ظني - لأننا لا نضع أهدافا واضحة يمكن النظر إليها على أنها معيار عام نقيس به كل ركن من أركان التعليم .

وكان أهم مظهر على أننا نســـير عكس التيار التعليمي العالمي الهادف أننا نفتقد في مناهجنا خاصة وأسلوبنا التعليمي عامة إلى إرساء منهجية التفكير النقدي أو الناقد.

إن التفكير الناقد أهم عنصـر نعوزه في المنظومة التعليمية ؛ لأنه لديه القدرة على زرع التفكير البناء في عقول الناشـئة منذ الصـغر، بما يستتبعه من التمرس بعمليات الحوار والتواصل والتعايش ، إذا ما تعود الإنسان عليه في تلك المرحلة الزمنية فإنه سيكون دأبه دائما .

5. ولكن ما التفكير النقدي ؟

لقد حـاول بعض البـاحثين البحث عن أصـــول التفكير النـاقد ، فذهب إلى أن الفكر اليوناني ممثلاً في سقراط(13) اتجه اتجاهًا عقليًا ، فربط النظر العقلي بالســـلوك في إطار نقدي للواقع المعيش في تلك الفترة ، وقد تواصـــلـت حركـة التفكير النقـدي عبر التـاريخ الفكري الإنســـاني ، وهذا بدوره أدى إلى صـياغة وجهات نظر فلسـفية فكرية حول التفكير النـاقد من قبـل التربويين والفلاســـفـة وعلمـاء النفس ، ووضـعها في نسق معرفي وتربوي منطلقة في ذلك من القدرات العقلية للإنسان. (14)

إلا أنه يمكن القول إن التفكير النقدي - في التحليل الأخير - ليس شيئا أكثر من النظر في المقدمات وإصدار الحكم عليها بمقتضـى قانون العقل ، دون النظر للأحكام السـابقة المتعارف عليها . إنه – في تعريف لأحد الباحثين - عملية ذهنية يؤديها الإنســـان عندما يطلب إليه الحكم على قضية أو مناقشة موضوع أو إجراء تقويم . إنه الحكم على صحة رأي أو اعتقـاد و فعـاليتـه عن طريق تحليـل المعلومـات و فرزهـا و اختبارها بهدف التمييز بين الأفكار الإيجابية والسلبية. (15)

بما يعني أننا أمام أسلوب جديد من التفكير الذي يفضـي إلى إنتاج الحوار والتعايش والتواصل بجوار العلم ، وربما تصديره ، وربما كان هذا هو ســـبب التطور الغربي الهائل في مجالات العلم النظري منها والتطبيقي كافة ، وربما كان هذا أيضـــاً الســـبب الرئيس في تدفق المعلومات التي نشهدها في عالمنا على المستويات كافة .

وإذا ما أردنا تعليما يكون ميزانا لنهضـتنا فلا بد من التغلب على كل ما هو تقليدي ، فالعلم الآن لا يقياس بكمية الحفظ والاســـتنكار ، ولكن التعليم يقاس بمدى الفهم والاستيعاب والابتكار في حل المشكلات ، وهذا لن يكون متوفرا إلا في ظل تعليم نـاقد بنـاء يقوم على التفكير النقدي.

إن التفكير الناقد يستطيع بكل سهولة أن يقضـي على آفات منها :

- عمليـة الحفظ والتلقين التي لا تنشـــئ إلا جيلا يقوم على فكرة السمع والطاعة في كل شيء ، ولو كان خطأ.
- فكرة أن الأولين قاموا بكل شـــيء من أجلنا ، بل من الأحرى أن نكون على يقين بأن الأولين قد تركوا لنا كل شيء ، فإذا سـاد هذا الانطباع نكون على بداية التفكير النقدي المنتج علميا وفكريا.
- فكرة انغلاق العقل على ما هو قديم ، دون تمييز غثه من سمينه ، وهي من الإشـــكاليات العتيقة في تاريخ تراثنا الفكري ، إذ من الواجب علينـا أن نغوص في أعمـاق هذا التراث ، لأنهـا إحدى الإشـكاليات التي توجه بسـببها سـهام النقد إلى هذا التراث الذي نعتقد أن نسـبة الإيجابي فيه تفوق السـلبي ، ولكن لن تظهر قيمة هذا الإيجابي دون تنقيته من الأخير، واستبدال آخر إيجابي به .

ومن هنا وجب الانتباه جيدا للتفكير النقدي نظرة تســـتغرق البعد المستقبلي ، إذ لن يكون لهذا المستقبل دور ما لم يكن قائما على أساس من التفكير الصحيح ، أخصه التفكير الناقد.

والتفكير النقدي يجب أن يكون مرتبطًا بمحاور العملية التعليمية ، وهي : المنهج ، المعلم ، المناخ التعليمي ، الطالب.

فالتفكير النقدي على مستوى المنهج الدراسي ليس على المستوى المأمول ، بل لنا أن نقول أنه ليس له وجود أصـــلا ، فالمنهج الدراســـي يرســـخ لشـــيء واحد الحفظ ، ثم الحفظ ، نعم هناك أمور أخرى لكنها ليس لها الصـــدارة في المنهج ، فالتفكير والإبداع يتواريان خلف ظلال كثيفة من الحفظ والتلقين .

ومن ثم فلا بد أن يكون المنهج الدراســـي مشـــتملا على مواقف حياتية تنمي عند التلميذ التفكير الناقد ، وتجعله في حاجة إليه دائما ، وعليه فلا بد أن تكون عملية التقييم ذاتها تنمي هذا المنهج حتى يصـــير ملكة لدى صـــاحبه ، هذا فضـــلا عن أن الأنشـــطة التي يقدمها المنهج ليســـت على المســـتوى المأمول الذي يكوّن عند التلميذ ملكة التفكير الناقد.

إن المنهج الدراسي يجب أن يعمل على وضع التلميذ في مواقف حياتية تدفعه دفعا للتفكير الناقد ، ومن هنا يجب أن تكون الموضـوعات من تلك الموضـــوعات التي تدعو للتفكير ، أو على الأقل تســـاعد عليه

من خلال وضع الطالب على المحك مع المشكلة المطروحة ، فيضع لها تصوره ، ثم يشرع في إيجاد الحلول النقدية لها.

كما أن طبيعة التقييم داخل المنهج دراسي عليها عوار كبير ، فهي لا تحفل إلا بالنادر الذي ينمي التفكير الناقد لدى التلميذ ، فكلها أساليب تقييم إنشائية لا تقيس التفكير ، وإنما تقيس القدرة على الاستذكار والحفظ ، ليس إلا، وهنا تكمن الخطورة ، ذلك أننا بذلك ننشيء فردا لا يعرف إلا التقليد والمحاكاة ، أما أن يبدع أو يبتكر ، فذلك مستحيل في ظل هذا المنهج الذي يعتوره العديد من أوجه العوار والنقص.

وهذا كله ذو دلالة واضحة على أن المنهج بصورته الحالية يعد مناقضة بالكلية للتفكير النقدي ، فالتفكير النقدي تفكير بناء ، أدواته إعمال الفكر وليس قتل الفكر بالحفظ والتلقين، ولنا أن نقول : إن من لا يستخدم التفكير الناقد أنما يرسم طريقا للفشل ، أما من يخطط للتفكير النقدي إنما يخطط للنجاح على كافة الأصعدةويرسم طريقًا للتواصل الحضاري والتعايش السلمي .

وإذا كان هذا هو حال المنهج من التفكير النقدي ، فكيف يكون الحال فيما يتعلق بالمناخ التعليمي أو القائم بعملية التعليم ، وهو المعلم ، أو بمحور العملية التعليمية ، وهو الطالب.

فضلاً عن ذلك فإن المعلم مقيد بهذا المنهج الذي لا يتيح له مجالاً للإبداع أو التفكير النقدي ، وإذا ما أبدع معلم في مجاله في قاعات الدرس ، فإنما يعود ذلك إلى مجهود فردي منه ؛ فضلاً عن أننا نفتقد بالأساس إلى المعلم يمتلك أدوات التفكير النقدي ، ومن ثم فكيف وهو فاقد الشيء أن يجعل الطلاب يمتلكونه ، فالخطورة الكبرى أن المعلم الذي نرجو أن ينتقل العلم على يديه إلى أفق أوسع من ذي قبل ، فكيف يتسنى له ذلك ، وهو يفقد أدنى الأدوات التي يستطيع من خلالها فعل ذلك ؟

إن المعلم في غالبية أوطاننا العربية مهضوم حقه ، ليس على المستوى المادي فحسب ، بل على المستوى التأهيلي والتنمية المستدامة ، ونحن نتساءل كم مرة تم تأهيل المعلم تدريبيًا على التفكير النقدي ؟ بل لنا أن نتساءل بكل و ضوح : هل تم تأهيله عليه من الأساس ، ولو لمرة واحدة ؟! الإجابة حتمًا بالنفي ، ذلك لأننا لا نؤمن بالتفكير النقدي في مؤسساتنا التعليمية في التعليم قبل الجامعي ، ولا التعليم ما بعد الجامعي .

ومن هنا فنحن إذ نطلب من المعلم زرع مبادئ التفكير النقدي في عقول الناشئة فإنما نطالبه بما لا يطيقه ، ولا يقدر عليه ، لأنه لا يعرف المقصود بالتفكير النقدي ، ولا مبادئه ، ولا أهميته ، ولا حتى خصائص المفكر الناقد ، ولا المهارات التي يجب أن يتحلى بها .

ومن ثم إذا أردنا اتجاهًا نقديًا إيجابيًا في بلداننا تكون نواته المؤسسة التعليمية فإن من الواجب أولاً تأهيل المعلم في مجالات التفكير المتعددة ، وتنمية الاتجاه النقدي لديه ، وأخص كل ذلك التفكير النقدي ، فمثل المعلم من التفكير النقدي كمثل المرآة ممن يقف أمامها ، فإذا ظهرت في المرآة صورة رجل فالواقف حينها أمامها ليس شيئًا آخر غير رجل ، وإذا ما ظهر فيها حيوان ما كالفيل أو القرد أو الأرنب ، فإنما الواقف أمامها واحد من هذه الحيوانات ، والمعلم كذلك فهو مرآة لما أمامه من سوء المناهج أو حسنها ، من سوء المناخ التعليمي أو حسنه ، من سوء النظام التعليمي العام أو حسنه.

فإذا لم يصب المعلم شيء من التأهيل على التفكير النقدي فلا يظهر لنا في المرآة شيء منه ، فالمعلم ورث التفكير التقليدي وتشبعه حتى النخاع ، ومن ثم فلا يظهر فيها إلى معلم مقلد في تفكيره واتجاهاته وسلوكه ، فكما أن المرآة لا تعكس إلا ما أمامها ، فكذلك شخصية المعلم ليست إلا مرآة للظروف المحيطة به مهنيًا وعلميًا ومجتمعيًا وسياسيًا وثقافيًا إلى غير ذلك ، بيد أنه يبقى على كل حال المحور الذي يستطيع أن يقود المنظومة إلى التغيير الأفضل والشامل ، كونه يبني العقول ، وفرق كبير - لا شك - بين من يبني العقول ومن يبني البطون

ومن ثم تكمن بداية الحل – وليس كل الحل - في أمرين فيما يتعلق بالمعلم:

الأول ، تأهيله وتدريبه على التفكير النقدي ، حتى يكون ممتلكًا لأدواته ، فيستطيع حينها أن يقود الطلاب إلى المستقبل ، وأن يصنع جيلاً يغير مجرى التاريخ إلى الأفضل.

الثاني ، توفير الجو الصحي والملائم له ليشارك في صناعة أجيال تستطيع قيادة العالم العربي إلى مصاف الدول العالمية ، ولن يكون له ذلك دون توفير حياة مادية كريمة له ، وإعطائه وضعه اللائق به أدبيًا ومعنويًا داخل المجتمع.

وإذا كان المنهج تقليديًا ، والمعلم غير مؤهل على التفكير النقدي ، ولا حتى على غيره من ألوان التفكير ، فنحن لا نجد جديدًا فيما يتعلق بالمناخ التعليمي ، والجو الذي تدير فيه المؤسسة التعليمية عملها . بيد أنه يجب التأكيد على أننا نقصد بالمناخ التعليمي أمرين : المناخ داخل المؤسسة التعليمية ، والمناخ خارجها ، بما يحيط بها من مؤسسات حكومية ، ومؤسسات مجتمع مدني ، ومؤسسات مجتمع محلي ، فضلاً عن المناخ الذي يمثله المجتمع العام بكل طوائفه .

فلا المناخ التعليمي داخل المؤسسة التعليمية يشجع على التفكير النقدي بسبب ما يعج فيه من من دعوة إلى المحاكاة والتقليد والنزوع إلى الارتماء في أحضان الماضي بكل قوة ، باعتبار أن الجديد في نظره غير معروف ، أو مجهول ، وغير المعروف والمجهول يمثل لهم خطرًا ، ومن ثم فإن التفكير النقدي يمثل في وجهة نظره خطرًا يجب الحذر منه ، أو ربما على اعتبار أن هذا الجنوح يمثل نوعًا من الانهزامية وقلة الحماسة من التطور نحو الأفضل ، ركونًا إلى الحالة السلبية التي شاعت ولا زالت . ولا شك أن هذا يغذيه بكل قوة منهج أصم ، ومعلم مغلول العقل ، قبل أن يكون مغلول اليدين والقدمين.

ومن النادر أن تجد القيادة التربوية – وهي تمارس عنصرًا من العناصر التي من المفترض فيها إشاعة المناخ التعليمي الجيد والعمل عليه - تمارس التفكير النقدي ، أو أن تكون قدوة فيه يقتدي بها المتعلمون ، ولو كانت إدارة المؤسسة التعليمية ممثلة في المديرين والوكلاء والمشرفين تمارس فيما بينها التفكير النقدي ، لكانت عاملاً من عوامل التشجيع عليه ، وإشاعته داخل المؤسسة ، إلا أن ذلك لا يتم ، ومن ثم فإن المناخ التعليمي داخل المؤسسة ليس مشجعًا على التفكير النقدي ، فضلاً عن أن يكون ملمًا بمبادئه وأهميته وأهدافه.

أما المناخ خارج المؤسسة التعليمية ، فهو أكثر فقرًا في التعاطي مع التفكير النقدي ، فلا النظم السياسية تعمل على ترسيخه بين أبناء الوطن ، فضلاً عن عدم ممارسته في ممارساتها وخططها ، بل لا نظن أن قضية التفكير النقدي تحظى باهتمامها ، إضافة إلى ما ترسخ له هذه النظم من اتجاهات سلطوية تتنافى بالكلية مع مبادئ التفكير النقدي . ومن ثم وجب على تلك النظم إعادة النظر في موقفها من التعليم والتفكير ، وأن تضع في برامجها وخططها تطوير التعليم على أسس واقعية ، ليس غرضها اقتفاء أثر الغرب ؛ لأن ما يتناسب مع البيئة الغربية من تطوير تعليمي قد لا يتناسب مع بيئتنا العربية ، خاصة فيما يتعلق بالإمكانيات المادية والبشرية وغيرها . كما يجب عليها أن تضع في اعتبارها تطوير العقلية العربية من خلال برامج التفكير بمختلف أنواعه ومنها التفكير النقدي.

ولا مانع من أن تستعين هذه النظم بالمجتمع المدني ومؤسساته المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، على أن تشارك بوضع البرامج الخاصة بالتفكير وتنفيذها على أرض الواقع ، من خلال تدريب

المعلمين على التفكير النقدي وكيفية توصيل ذلك للمتعلم ؛ حتى يكون هناك جيل يقود إلى النهضة الحديثة ، وأن يشارك في صنعها .

وهذا كله دليل على أن الطالب أو المتعلم – وهو المنتج الذي يعمل الجميع داخل المنظومة التعليمية على أن يكون منتجًا جيدًا – مظلوم ، فلا المنهج ملائم للتفكير النقدي ، ولا المعلم مؤهل له ، ولا المناخ العام والمناخ التعليمي يساعدان عليه ، فلا نريد طالبًا ناقلاً للعلوم ، وإنما نريد في هذا العصر طالبًا مبتكرًا للعلوم ، ومشاركًا في صنعها ، واكتشاف العالم من حوله ، ولن يكون ذلك إلا بتنمية التفكير النقدي والإبداعي.

إن التفكير النقدي له غاية معرفية كبيرة للطالب خاصة ، حيث يساهم التفكير الناقد في إثراء الجانب المعرفي عامة ؛ لأنه ينطلق من من فحص الآراء وتحليلها إلى التفريق العقلي بين الغث والسمين ، وهذا يساهم في بناء معرفي سليم.

فالتفكير النقدي تتمثل أهميته بالنسبة للطالب – وهذا ما ذهب إليه أحد الباحثين في بيان أهمية التفكير النقدي على العموم – في الآتي : (16)

1. أن التفكير الناقد نشاط ذهني عملي .
2. أن التفكير الناقد يتضمن التفكير الناقد تفكيراً إبداعياً.
3. كما يتضمن بدوره صياغة الفرضيات(17) و الأسئلة و الاختبارات و التخطيط للتجارب.

فالتفكير الناقد يمثل القدرة على الاستدلال وقياس المعلومات والأفكار وتقويم المناقشات انتهاء إلى الأحكام المنطقية(18). كما أنه عملية عقلية لتقويم نواتج التفكير التي تعتمد على صحة الأدلة وتقييم الأسباب وتطوير حجج منطقية.(19)

وهذا يعني أن التفكير الناقد عند المتخصصين يقوم فحص وتقييم الحلول المعروضة. وعند بعض آخر يستند إلى حل المشكلات والتحقق من الشيء وتقييمه بالاستناد إلى معايير متفق عليها مسبقا. كما يستند التفكير الناقد عند بعض الباحثين استخدام المستويات المعرفية العليا في تصنيف بلوم(20) ، و هي التحليل و التركيب و التقويم.(21)

ولذا فالمهمة ثقيلة والعوائق كبيرة بيد أنه يمكن التغلب عليه بالمزيد من الصبر ، والمزيد من الاجتهاد ، والمزيد من الرغبة في التغيير . وبدون ذلك فإننا نحكم على المؤسسة التعليمية بالضياع ، لأنه حينها سوف تكون مؤسسة منقوصة في درجة إجادتها ، كما أننا – بطبيعة الحال – نحكم على الوطن كله بالاستسلام إلى الوضع القائم ، والتخلف عن الركب ، والرضى بتذيل الأمم والشعوب.

وأخيرًا يجب التأكيد على أن التفكير النقدي كالماء والهواء ، ولذا فإن أي مؤسسة تعليمية تأباه ، إنما هي – في حقيقة الأمر – ترفض الحياة ، ترفض العلم الحقيقي ، ترفض الطموح والعمل الجاد المثمر ، ترفض أن يكون هناك جيلاً قويًا غير تابع .

6. الخاتمة

يمكن القول إن هذا البحث تمخض عن مجموعة من النتائج، والتي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أولاً- أن المؤسسة التعليمية هي الأساس الرئيس في رأينا الذي يمكن أن نبني عليه عملية حوارية تقود إلى ديمومة التعايش السلمي والتسامح والتواصل الحضاري بما يمكن أن تقدمه من ممارسات تخدم هذا الغرض وتؤصل له. وذلك من خلال ترسيخ ممارسات الحوار والتواصل والإيمان بقيم الاختلاف وقيم المواطنة عامة عملاً لا قولاً تطبيقًا لا نظريًا.

ثانيًا – أن المؤسسة التعليمية تستطيع أن تقدم الكثير بشرط أن يكون هناك المعلم المؤمن بقيم التواصل والتعايش والتسامح، وأن تكون جزءًا من شخصيته، وليس شيئًا متكلفًا أو دخيلاً عليه، ولذا فإنه في حاجة دائمة إلى التدريب والتأهيل المستمر الذي يمكنه من القيام بهذه المهمة.

ثالثًا – أن المؤسسة الدينية التي يكون لها دور سلبي تقود إلى إشاعة العنف واللا سلم بديلاً عن التسامح والتعايش، ومن ثم يشب الإنسان على معاني مضادة للبناء الحضاري الإنساني القائم على التواصل والإيمان بحق الآخر في الاختلاف، والحق في التعبير عن الرأي، وحرية ممارسة طقوسه الاعتقادية.

رابعًا – إعادة النظر في بعض المناهج التي تدرس في بعض المؤسسات التعليمية، والتي لا تؤمن بالآخر ولا بحقه في الاختلاف، ولا تؤمن بالتسامح والتواصل الحضاري، لأن المنهج ينبغي أن يقود إلى معرفة المتعلم بنفسه وأن يتواصل مع العالم من حوله، أما إن كان خلاف ذلك فلن يقود إلى المنشود في هذا الصدد.

خامسًا – إن الجانب الإيجابي الذي يمكن أن تقوم به المؤسسة التعليمية في إرساء عملية التواصل والحوار والتسامح يجب أن يتضمن جميع أطراف العملية التعليمية: المعلم والمتعلم والمنهج والمناخ التربوي، دون أن يغفل جانبًا منها، لما له من تأثير عكسي عند إغفاله.

سادسًا- إن قيام المؤسسة التعليمية على التفكير الناقد هو الضامن لإشاعة روح الحوار وقبول الآخر داخلها، الأمر الذي يقود إلى الانتصار لقيم التواصل المراد الوصول إليها.

مراجع البحث

1. أسماء لشهب، براهمي براهيم ، معلم المرحلة الابتدائية وتحديات تعامله مع التلاميذ ذوي صعوبات التعلم ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 30، (سبتمبر 2017)
2. توماس ر . هور فن القيادة المدرسية ، نقله إلى العربية : وليد عزت شحادة ، الناشر : مكتبة العبيكان ، وكلمة ، 1329هـ.
3. خالد محمد الزاوي ، الجودة الشاملة في التعليم ، الناشر : مجموعة النيل العربية للطباعة والنشر والتوزيع .
4. الزبير المهداد ، العنف التربوي ، الجذور الاجتماعية ، والأسباب النفسية والمهنية ، مجلة شؤون عربية ، العدد 146 ، الناشر جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة.
5. سامح عودة ، التربية بالعنف .. السعي لتعليم الطفل أم للسيطرة عليه ، موقع ميدان على الرابط التالي : https://midan.aljazeera.net/intellect/sociology/2017/10/12/
6. سيف بن ناصر المعمري ، التعليم وبناء الجدل الفكر ، مقال منشور بتاريخ 24 / 9 / 2017 على موقع تعددية على الرابط التالي/https://taadudiya.com :
7. طارق عبد الرؤوف عامر ، القيادة التربوية ومهارات الاتصال ، الناشر : دار العلوم للنشر والتوزيع ، 2012م.
8. فتحي عبدالرحمن جروان : تعليم التفكير مفاهيم و تطبيقات ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، دار الكتاب الجامعي (1999م).
9. نبيل صموائيل أبادير ، التعليم قاطرة التنمية ، جريدة الأهرام ، عدد 6 / 3 / 2010م.
10. محمد حسن محمد حمادات ، القيادة التربوية في القرن الجديد ، طبعة دار الحامد للنشر والتوزيع ، ص المقدمة .
11. محمد فاغور ، التعليم الديني والتعددية في مصر وتونس ، مركز كارينجي للشرق الأوسط ، أغسطس ، 2012م.
12. مصطفى النشار ، مصر وإعادة البناء الحضاري ، القاهرة ، دار روابط للنشر وتقنية المعلومات.

13. وثيقة معايير ضمان جودة واعتماد مؤسسات التعليم المجتمعي ، الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد ، الإصدار الأول ، 2014م ، ص 1 .
14. وصـــفي عصـــفور ، و محمد طرخان : التفكير الناقد و التعليم المدرسي و الصفي ، مجلة المعلم ،(1999م).
15. يوسف قطامي : تفكير الأطفال – تطوره و طرق تعليمه ، عمان ، الأهلية للنشر و التوزيع ، (1990) ص 699 ، ص 707.

المراجع الأجنبية:

16. Adolescents. Dissertation abstract international, 50(11), 3389-A.-
17. Ennis, R. H. Critical Thinking and Subject Specify: (1) Clarification and Needed Research. Educational Leadership, 18 (3), p. 410, 1998.
18. Fisher, Charles. (1990). Effects of A development Drama-In -query Process on Creative and Critical Thinking in Early
19. Gunn, E. (1993). Assessing Critical Thinking: Development of A constructed Response Test. Dissertation abstract international, 54(4), 2267-A.